أَلفاصِلَةُ القُرْآنِيَّةُ ظَاهِرَةٌ إِعْجازِيَّةٌ

د. فارس العامر
جامعة المصطفى العالمية
قم - ايران الاسلامية

يبين البحث ان (الفاصلة القرآنية) تمثل احدى صور الاعجاز البياني القرآني، ذلك انها مختارة بدقة عجيبة، حتى ان السامع، اذا كان ذا نظر ثاقب بفن الكلام، ادرك موقعها من الكلام. فقد روي عن الاصمعي انه قرأ: ((والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءاً بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم) فاعترض عليه اعرابي كان يجلس بجانبه وقال له: كلام من هذا؟!.

قال: كلام الله..!. قال الاعرابي ليس هذا كلام الله..!. فاحس بالغلط وقرأ: (والله عزيز حكيم) فقال: اصبت.

فسأله الاصمعي: أتقرأ القرآن؟. قال: ولكني ادركت ان الله -سبحانه -عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع.

وقد عرض السيد الباحث لفواصل سورة البقرة فقط كانموذج من باقي القرآن الكريم. وسيجد القاريء إشكالية في ثبت مصادر البحث في معظم الحواشي قد لا تفوت الباحث اللبيب.

فحوى البحث

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

القرآن الكريم وكما هو معلوم معجزة نبينا الأكرمﷺ التي تحدّى بها يومذاك أرباب الفصاحة والبلاغة، ولايزال ذلك التحدي وإلى يوم القيامة، ولايزال عجز البشر، بل الإنس والجنّ مستمراً عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، بل عن الاتيان ولو بأقصر سورة من سوره ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الاسراء: ٨٨].

والإعجاز البلاغي أبرز ظاهرة في ذلك التحدّي.

ويشمل إعجازه البلاغي رصف القرآن وبيانه ونظمه، مع مباينة خصائصه لما هو معهود من خصائص كلّ نظم وبيان في لغة العرب، وغيرها من سائر لغات البشر.

ومن نظمه الإعجازي الرصين ((الفاصلة)) القرآنية.

فما هي الفاصلة القرآنية؟. وهل لها علاقة بما قبلها من الكلام أو هي مجرَّد حشوة يُختَم ويُتمَّم بها الكلام؟. وهل يمكن وضع فاصلة مكان أخرى فلا يختلُّ المعنى أو لا يمكن ذلك؟.

هذه الأسئلة وغيرها هي موضوع حديثنا في هذا البحث.

معنى الفاصلة القرآنية

قال ابن منظور: ((قوله عزَّ وجلَّ ﴿بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾: له معنيان: أحدهما: تفصيل آياته بالفواصل. والمعنى الثاني في ((فَصّلناهُ)): بيَّناهُ.

و((آياتٍ مفصَّلاتٍ)): بين كلِّ آيتين فصل، تمضي هذه وتأتي هذه، بين كلِّ آيتين مهلة، وقيل ((مفصّلات)) مبيَّنات[1].

وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته: الفصل: إبانة أحد الشيئين من الآخر، حتى يكون بينهما فُرجة.

وقال: ((والفواصل: أواخرُ

(١) ابن منظور، لسان العرب، حرف الفاء.

الآي))[٢].

وعليه فإنَّ المقصود من ((الفاصلة)): آخر كلِّ آية من آي الذكر الحكيم.

ثالثاً: علاقة الفاصلة بما قبلها:

جاءت الفاصلة القرآنية متناسقة، مترابطة تمام التناسق والترابط مع آياتها التي قبلها، مؤدية دورها في إتمام المعنى وإيصاله على نحوٍ بديع، معجزٍ، بحيث لو أراد شخص أن يتكلَّف باستبدال فاصلة بغيرها لما استطاع، بل لا يؤدي ذلك الغير نفس معناها وإيقاعها.

لذا فإنَّ الفاصلة هي إحدى صور الإعجاز البياني القرآني؛ لأنَّ الفاصلة اختيرت بدقّة عجيبة؛ حتى أنَّ السامع إذا كان ذا نظر ثاقب بفنِّ الكلام وسمع الفاصلة أدرك موقعها من الكلام[٣]، ومما يؤيِّد ذلك ما روي من أنَّ أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ((فإنْ زَلَلتُم من بعدِها جاءَتْكم البيِّناتُ فاعلموا أنَّ الله غفورٌ رحيمٌ))، فقال الأعرابي -ولم يكن يقرأ القرآن -إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا. ومرَّ بهما رجل، فقال: كيف تقرأ هذه الآية؟. فقال الرجل: ((فإنْ زللتُم من﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٩]، فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزَّلل؛ لأنه إغراءٌ عليه[٤].

وروي عن الأصمعي أنه قال: كنت أقرأ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ والله غفورٌ رحيمٌ)) [سورة المائدة: ٣٨]. وكان بجنبي أعرابي، فقال: كلام مَنْ هذا؟. قلت: كلام الله، قال: أعد، فأعدتُ، فقال: ليس هذا كلام الله. فانتبهتُ، فقرأتُ: ((والله عزيزٌ حكيمٌ))، فقال: أصبت هذا كلام الله. فقلت: أتقرأ القرآن؟. قال: لا، فقلت: من أين علمت؟. فقال: يا هذا عزَّ فحكم، فقطع، ولو غفر فرحم لما

(٢) الراغب الاصفهاني، المفردات، حرف الفاء.

(٣) السيد خضر، الفواصل القرآنية، محاضرة في كلية المعلمين بالرياض.

(٤) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، حـ٣، ص: ٣٤٧.

قطع[٥].

وفي هذا، وغيره من الأمثلة الكثيرة القادمة التي سنذكرها ردٌّ على الشبهة التي جاءت في الموسوعة البريطانية من أنَّ القرآن مجرَّد إنشاء، جاء بطريقة عشوائية، واستدلوا على ذلك (بالفواصل) القرآنية، بقولهم: ((يؤكّد ذلك طريقة ختم هذه الآيات بآيات مثل: ((إنَّ الله عليمٌ)) ((إنَّ الله حكيمٌ))، ((إنَّ الله يعلم ما لا تعلمون))، وإنَّها لا علاقة لها مع ما قبلها، وإنها وُضعَت فقط لتتميم السجع والقافية))[٦].

والجواب: ليس الأمر كما قالوا، وإنما هناك علاقة دقيقة بين الآيات وما خُتِمَت به كما مرَّ في المثالين السابقين، وكيف أدرك الأعرابي الخطأ حين أبدل القارئ ((الفاصلة)) بغيرها، وأما أولئك فإما أنهم عاجزون عن فهم كلام الله البليغ، وإما لهم مآرب في تلك الادعاءات الباطلة.

وإليك المزيد من الأمثلة والتوضيح على دقَّة ارتباط الفاصلة بما قبلها من الكلام، وعدم جواز استبدال غيرها:

١. قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

بقليل من التأمّل نلاحظ صلة الفاصلة ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بما قبلها، ولا يمكن أن تصلح أيّ فاصلة أخرى مكانها، إذ يخاطب الله المؤمنين وقد كتب عليهم القتال، موضحاً عدم إدراكهم لأمر المستقبل، فربّما يكرهون شيئاً وفيه خيرهم، وربّما يحبون شيئاً وفيه شرّهم، والذي يعلم ذلك كلّه هو الله وحده. فأي فاصلة غير ما ختمت به تصلح؟.

٢. ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة

(٥) محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص٢٦ ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الاردن.

(٦) فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص: ٨١، ٨٢، ط٢، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

البقرة: ٢٣٢] هؤلاء الاخوة والآباء يمنعون أخواتهم أو بناتهم من الرجوع إلى أزواجهنَّ؛ أنفةً وجاهلية، أو انتقاماً من أولئك الأزواج بدلاً من تعقلهم للعواقب من وراء تلك التصرفات الخاطئة، فلا يعلمون ماذا تكون عواقب تلك الأخطاء.

فأيّة فاصلة تصلح غير ما جاء في الآية التي تبيّن لهم أنَّ الله يعلم وهم لا يعلمون.

٣. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النور: ١٩].

في هذه الفاصلة طمأنة لمن أُشيعت فيهم الفاحشة، وتهديد لأولئك الذين يشيعون الفاحشة هذامّا لا يعلمونه، والله تعالى هو الذي يعلم ذلك، ويعلم الذين يبيّتون في قلوبهم حبَّ هذا الذنب، ويعلم الذين يمارسونه تحت واجهات خدّاعة، ويعلم العاقبة السيئة التي تنتظر الذين يشيعون الفحشاء وأنتم لا تعلمون ذلك كلّه. فأيّ فاصلة تصلح غير ما ذكر؟!.

٤. ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾

[سورة السجدة: ٢٦ -٢٧].

تحدثت الآية الأولى عن إهلاك القرون، وأمر التاريخ يُدرَك بالسمع لذلك ختمت بالفاصلة ((أفلا يسمعون)).

وأما الآية الثانية فقد تحدثت عن إنزال الماء وإنبات الأرض وهو مما يشاهد بالأبصار، وذكرت الآية ((يَرَوا)) لذلك ختمت بالفاصلة ((أفلا يُبصرون))[٧].

٥. ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[سورة الانعام: ١٠٣] ففي الفاصلة ((اللطيف الخبيرُ))؛ حيث ناسب

(٧) السيوطي، الاتقان، حـ٣، ص: ٣٤٦، وفضل حسن عباس، ص: ٨٤ -٨٩.

((اللطيفُ)) ما لا يُدرَك بالبصر، وناسب ((الخبيرُ)) ما يُدرَك بالبصر[٨].

٦. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾

[سورة الانعام: ٩٧ -٩٨].

خُتمت الآية الأولى بقوله تعالى ﴿يَعْلَمُونَ﴾؛ وذلك لأنَّ حساب النجوم والاهتداء بها يختصُّ بالعلماء، فناسب ختمها بـ((يعلمون)).

وخُتمت الثانية بقوله ﴿يَفْقَهُونَ﴾؛ وذلك لأنَّ إنشاء الخلائق من نفس واحدة، ونقلهم من الأصلاب إلى الأرحام، ثم إلى عالم الدنيا، وإلى حياة وموت، كلُّ ذلك يحتاج إلى فكر دقيق فناسب ختم الآية بـ ((يفقهون))؛ لأنَّ الفقه فهم الأشياء الدقيقة[٩].

٧. ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [سورة هود: ٨٧].

لما ذُكِرت العبادة، والتصرّف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب؛ لأنَّ الحلم)) يناسب العبادات، و((الرشد)) يناسب الأموال[١٠].

٨. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة: ٢٩].

لعلَّ المتبادر إلى الذهن أن تختم بالقدرة، ولكنّها لمّا تضمَّنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجيات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، وسوّى سبع سماوات اقتضى ذلك أن يكون الخالق عالماً بما فعله كلياً وجزئياً، مجملاً ومفصلاً، فناسب ختمها بصفة العلم[١١].

٩. ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ

(٨) السيوطي، ص: ٣٤٦.
(٩) السيوطي، ص: ٣٤٩.
(١٠) السيوطي، ص: ٣٤٦.
(١١) ن. م ص: ٣٥٣.

سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة القصص: ٧١-٧٢].

هناك فرق بين السمع والبصر، فالأذن مدخل لداعي الحق لايقاظ عقولهم الخامدة للتفكر.

فإذا ما أطبق الليل، وحُجب النظر جاءت ((الفاصلة)) تدعوهم لاستعمال تلك الحاسة التي لا ينفع عندها غيرها من الحواس الأخرى في كشف شيء مما هم فيه ((أفلا تسمعون))؟. وتأتي ((الفاصلة)) في الآية الثانية لتدعو نيام النهار حيث جعلت الآية النهار سرمداً أبداً لا يعقبه ليل، لينظروا ((أفلا تبصرون))؟. فالعين في مثل هذا الحال هي الواسطة والمدخل إلى عقولهم للنظر والتدبُّر.

وقد أكد العلم على أن السمع وحده يعمل حال النوم، كلّ الحواس تتعطل إلا السمع لذا ركزت الفاصلة على هذا المعنى المعجز ((أفلا تسمعون))؟ز والسمع أكثر تعقيداً وأعظم خلقاً[١٢].

١٠. ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران: ٢٩].

فضلا عن علمه سبحانه فهو قادر على معاقبة المذنبين؛ إذ ما من معصية مخفية كانت أو ظاهرة إلاّ وهو مطلّع عليها وقادر على العقاب عليها. فالفاصلة مناسبة لما قبلها[١٣].

رابعاً: ((الفاصلة بأسماء الله تعالى وصفاته)):

يمكننا تقسيم ((الفاصلة)) القرآنية على قسمين[١٤]:

القسم الأول: الفاصلة العامة، نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ذُكِّرَ . أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة السجدة: ٢٦-٢٧]،

(١٢) عبد الكريم الخطيب، اعجاز القرآن، ص: ٢١٥، ط١، ١٩٦٤، القاهرة.
(١٣) السيوطي، ص: ٣٥٣.
(١٤) هذا التقسيم لغرض فني ليتضح من خلاله الفواصل التي تناولها البحث.

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء: ٨٧] ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٨٨]، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الانعام: ١٥١]، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٤]، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة الحج: ٧٠]، وغيرها.

القسم الثاني: الفاصلة الخاصَّة بأسماء الله تعالى وصفاته التي خُتمتْ بها الآيات، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، [سورة التوبة: ٤٠]، ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤]، [سورة آل عمران: ٢٩]، ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الاعراف: ٢٠٠]، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الانفال: ٧٠]، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الانفال: ٧١].

وغيرها من الفواصل بأسمائه وصفاته عزَّ وجلَّ.

وفيما يلي نتناول الفاصلة في القسم الثاني هذا، وحصراً ما جاء من ((فواصل)) في سورة البقرة إن شاء الله تعالى:

١. ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠].

((القدير)): مبالغة في القادر، وهو الفعّال لما يشاء بقدر ما تقتضيه الحكمة. وقد جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من قبيل التعليل.

وقد ذكر ((القدرة))؛ لأنه تقدّم ذكر فعل تضمَّنَ الوعيد والإخافة، لذا كان ذكر القدرة مناسباً لذلك [١٥].

٢. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٩].

﴿ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ولم يقل: ((قدير))؛ لأنه لما وصف نفسه تبارك وتعالى بالقدرة والاستيلاء، وقد وصل ذلك كلّه بالعلم، وهو عالم بما يؤول إليه

(١٥) القرطبي، جامع الاحكام، حـ١، ص: ١٥٦ بتصرف والطبرسي، مجمع البيان، حـ١، ص: ١٢٠.

حال ما خلق ومَن خلق له من العباد؛ لذا ناسب ذلك قوله تعالى ﴿ عَلِيمٌ ﴾ وفيه من المبالغة ما ليس في عالم[١٦].

٣. ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ٣٢].

لما نفت الملائكة العلم عن أنفسهم أثبتوه لله تعالى على أكمل أوصافه، وأردفوه بوصف الحكمة؛ فهو العليم مبالغة ((العالم))، الحكيم؛ لأنَّ جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب وعليه فلا علم لأحد إلا ما علّمه الله، فالعلوم كلّها من جهته سبحانه وتعالى[١٧].

٤. ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ٣٧].

أخذ بما تلقّاه عن فهم، مطيعاً لله تعالى، تائباً فقبل الله توبته و((التَّوّابُ)) هو كثير القبول للتوبة عن عباده مرة بعد أخرى.

والتوبة من العبد هي رجوعه إلى الله تعالى بالاستغفار والابتعاد عن المعصية. والتوبة من الله تعالى هي الرجوع إلى العبد بالرحمة. ((الرحيم)): إشارة إلى أنَّ قبول التوبة ليس على نحو الوجوب؛ بل على سبيل التفضّل واللطف منه تعالى والرحمة.

وقدم ((التوّاب)) لظهور مناسبته لما قبله[١٨].

٥. ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ٥٤].

ختمت بالفاصلة المناسبة لما قبلها وهي التوبة، وقد مرَّ الحديث عن مثلها في الآية السابقة.

٦. ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٩٦].

(١٦) الطبرسي، ص: ١٤٤. والآلوسي، روح المعاني، حـ١، ص: ٢٩٤.

(١٧) الطبرسي، ص: ١٥٦، والآلوسي، ص: ٣٠٧.

(١٨) الطبرسي ص: ١٧٥، ومكارم، ص: ١٧٥، والآلوسي، ص: ٣٢٢.

العمر المديد لا يبعده عن العذاب، ولا يغير من مصيره شيئاً؛ إذ كلّ شيء محصى لدى الله عز وجل، ولا يعزب عن عمله شيء فهو عليم بأعمالهم، لا يخفى عليه شيء منها، بل هو محيط بجميعها حافظ لها.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ ما فيه من التهديد والوعيد ما هو ظاهر[19].

٧. ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٥].

﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾: فيه تذكير للكارهين الحاسدين بما ينبغي أن يمتنعوا عنه لأن الجميع غارق في بحار فضل الله من غير استحقاق لهم عليه عز وجل[20]؛ لأنه ذو الطول والمن والفضل العظيم، انظر إلى هذا التناسق الدقيق فيما بين هذه الفاصلة وما قبلها.

٨. ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦].

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ إنه تعالى قادر على النسخ وعلى الإتيان بما هو خير، أو مماثل، لأنَّ كلَّ الأشياء تحت قدرته، فمن علم بذلك علم بقدرته على ذلك قطعاً، فناسبت الفاصلة ما قبلها[21].

٩. ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٩].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾: القدير -كما ذكرنا -مبالغة في القادر، وهو سبحانه قادر على نصر المسلمين على أعدائهم.

(١٩) الطبرسي، ص: ٣١١، ٣١٣، والآلوسي، ص: ٤٥٠.

(٢٠) الطبرسي، ص: ٣٣٧، والآلوسي، ص: ٤٧٧.

(٢١) الطبرسي، ص: ٣٤٢، والآلوسي، ص: ٤٨١.

وفي هذه ((الفاصلة))إشعار بالنصرة للمسلمين وتمكينهم.

١٠. ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ١١٠].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ونياتكم؛ لذا لا يضيع عنده أجر العاملين.

١١. ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾: إنَّه عزَّ وجلَّ واسع الملك والاحاطة، عليم بقصودكم أينما توجَّهتْ، وعالم بوجوه الحكمة في ما أمركم به[٢٢].

١٢. ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧].

﴿ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾: أنت السميع لدعوتنا، العليم بما نويناه في قلوبنا[٢٣].

١٣. ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٨].

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾: الرحيم بعباده، المنعم عليهم بالنعم العظيمة، وبتكفير السيئات والآثام، وهو المناسب بعد الدعاء وطلب التوبة منه عز وجل[٢٤]، وقُدِّمت التوبة وأُخِّرت الرحمة؛ لعمومها، ولكونها أنسب للفواصل[٢٥].

١٤. ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٩].

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾: الغالب القادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراده،

(٢٢) الطباطبائي، حـ ١، ص: ٢٥٥، والطبرسي، ص: ٣٥٧، ٣٥٩.

(٢٣) الطباطبائي، ص: ٢٧٨.

(٢٤) الطبرسي، ص: ٣٩٢.

(٢٥) الآلوسي، ص: ٥٢٥.

الذي يحكم الصنع ويحكم ما يريد.

وقد ذكر هاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء، وكأنه قال: فزعنا إليك في دعائنا لأنَّك القادر على إجابتنا، العالم بما في ضمائرنا، وبما هو أصلح لنا[٢٦].

١٥. ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧].

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾: هذه الفاصلة هي المناسبة لنصرة رسوله ﷺ؛ لأنه تعاليم درك، محيط بأقوالهم وأفعالهم ومؤامراتهم، حيث يتناسب ذلك مع وعده رسوله بكفايته أعداءه.

ومن ثَمَّ فهي تشدُّ على قلوب المؤمنين، وتبعث فيهم الثقة والطمأنينة[٢٧].

١٦. ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يضيع أجر العاملين ولا يدع ما فيه صلاحهم؛ لا تصافه بالرأفة والرحمة. والرؤوف: مبالغة في الرأفة، وهي أشدّ من الرحمة، وتعني رفع المكروه وإزالة الضرر، فهي أخصُّ من الرحمة ولذا قُدِّم وصف ((رؤوف)) على ((رحيم))[٢٨].

١٧. ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٨].

إنَّ الله تعالى قادر على جمعكم وحشركم، ولو كنتم ذراتٍ متناثرةً وحيثما متم من بلاد الله الواسعة يجمعكم في المحشر يوم القيامة[٢٩]، وهي أي ((الفاصلة)) تؤكّد على قدرة الله عز وجل

(٢٦) الطبرسي، ص: ٣٩٣، ٢٩٤، والآلوسي، ص: ٥٢٧.

(٢٧) الطبرسي، ص: ٤٠٧ بتصرف تام.

(٢٨) أُخذت الفكرة عن الطبرسي، ص: ٤٢٠، والآلوسي ص: ٥٥٦.

(٢٩) أخذت الفكرة عن الطبرسي، ص: ٤٢٩، والآلوسي، ص: ٥٦٦، ومكارم، ص: ٤٢٣.

على ذلك، وعلى كلّ شيء.

١٨. ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٥٨].

إنَّ الله ((شاكر)) لمن يعمل الخيرات امتثالاً لأوامره سبحانه، ((عليمٌ)) بكلّ هذه الأعمال الصالحة.

و((شاكرٌ عليمٌ)) اسمان من أسماء الله الحسنى.

((شاكر)) مبالغة في الإحسان إلى العباد، دالٌّ على التكريم وأيُّ تكريم أعظم من شكر الباري عزَّ وجل لعبيده على أعمالهم الصالحة؟. لذا ينبغي أن يشكر العبيد ربَّهم على تلك النعمة، وعلى غيرها من النعم التي لا تُحصى.

((عليمٌ)): مبالغة في العلم بالأشياء، يعلم مقادير أعمالهم، وكيفياتها، فلا ينقص من أجورهم شيئاً[٣٠].

وبهذا خُتمت الآية بهذه الفاصلة ((شاكر عليم)) وهو ربط وختم جميل.

١٩. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٦٠].

في هذه ((الفاصلة)) تَوَلّى الله تعالى بذاته المقدَّسة الأمر دلالة على كمال الرأفة والرحمة[٣١].

((التَّوَّابُ)): مبالغة؛ لكثرة قبوله التوبة باستمرار، وعدم ردّ تائب يرجع إليه سبحانه.

((الرحيمُ)): يدل على إسقاط العقاب عند التوبة، وهو تفضّل منه تبارك وتعالى، ورحمة[٣٢].

هذه ((الفاصلة)) عظيمة جداً؛ لإنقاذ الانسان من الذنوب التي لا يكاد ينفكُّ عنها في ليله ونهاره، وهي باب أملٍ وعلاج نفسي للتفاؤل بالخير والعمل الصالح بعد الرجوع إلى الله تعالى.

٢٠. ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(٣٠) الطبرسي، ص: ٤٤٥، والطباطبائي، ص: ٣٨٤، ومكارم، ص: ٤٥٥، ٤٥٦، والآلوسي، ص: ٥٨٠.

(٣١) الطباطبائي، حـ١، ص: ٣٨٩.

(٣٢) الطبرسي، ص: ٤٤٨.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٣].

تثبت الآية الألوهية لله وحده عز وجل، لا غير، وهو واضح من خلال أسلوب القصر البلاغي.

وقرن سبحانه ((الرحمن الرحيم)) بقوله((لا إلهَ إلاّ هو))، لبيان سبب استحقاق العبادة على عباده.

وعليه فانَّ ((الرحمن الرحيم)) صفتان بهما يتمُّ معنى الربوبية؛ فإليه عزَّ وجلَّ تنتهى عطاياه العامة والخاصة بمقتضى رحمانيته ورحيميته(٣٣).

٢١. ﴿ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

لو علم الذين ظلموا قوة الله وشدّة عذابه لعلموا أنَّ الله وحده لانِدَّله، ولا شريك.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾: يتناسب مع العذاب المُعَدِّ لهم، ووصف العذاب بالشدّة مبالغة ليتلاءم مع القوّة لله عزَّ وجلَّ(٣٤).

٢٢. ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣].

ذكرت الآية أربعة من المحرمات، واستثنت المضطر حيث أجازت له التناول بقدر الضرورة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾: أسقط الإثم عن المضطر وغفر له لاضطراره، كل ذلك رحمة منه عزَّ وجلَّ، فهو غفور رحيم بعباده.

٢٣. ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [سورة البقرة: ١٨١].

مَن غيَّرَ الوصية عن الحق بعدما سمعها من الموصي ((الميت)) يتحمّل إثم ذلك التغيير.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾: سميع لما قاله ((الموصي)) الميت من العدل أو الجور،

(٣٣) الطبرسي، ص: ٤٥٢، الطباطبائي، ص: ٣٩٣، بتصرف.

(٣٤) راجع الطبرسي، ص: ٤٦٢، ٤٦٣، ومغنية الكاشف، حـ١، ص: ٢٥٥.

عليم بما يفعله ((الوصي)) من الصحيح أو التغيير.

فهذه ((الفاصلة)) القرآنية ناسبت ما قبلها حيث خصَّ ((السمع)) لقوله {فمن بدَّلَهُ بعدَما سمعه} فهو مطابق له معنى، ((عليمٌ)) لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وعيد للمبدِّل والمغير[٣٥].

٢٤. ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٢].

يجوز للوصي أن يبدِّل مافي الوصية من جور إلى الحق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: إشارة إلى ما قد يقع فيه الوصي من خطأ غير عمدي عند تعديله الوصية المنحرفة، فهو سبحانه يعفو عن مثل هذا الخطأ، ولعلّ المقصود العفو عن ((الموصي)) بعد تعديل الوصي للوصية، فهو تبارك وتعالى غفور رحمة بالعباد[٣٦].

وقدّم المغفرة؛ لأنها ستر الذنب، ثم الرحمة؛ لأنها تفضّل وإنعام منه عز وجل[٣٧].

٢٥. ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٩١-١٩٢].

النهي عن قتال المشركين في المسجد الحرام، إلا إذا قاتلوكم فيه فلا معنى حينذاك للسكوت.

فإن انتهوا عن قتالكم بأن آمنوا وتابوا فإنَّ الله تعالى يغفر لهم جميع ما تقدم ويرحمهم بالعفو عن جميع ذنوبهم السابقة؛ لأنه عز وجل يقبل التوبة.

وبهذا نلاحظ التناسب بين نهاية الآية وما قبلها[٣٨].

(٣٥) محمود حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص: ٨٣، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، ط٢، دار الاعتصام -القاهرة، ١٣٩٦هـ ق. والمقداد السيوري، كنز العرفان، ص: ٤٥١.

(٣٦) الطبرسي، ص: ٤٩٧، والآلوسي، ص: ٦١٩، والكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص: ٤٠.

(٣٧) فضل حسن عباس، قضايا قرآنية، ص: ٩٤.

(٣٨) الطبرسي حـ٢، ص: ٣٠، ٣١، الطباطبائي،

٢٦. ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا .. ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦].

الأمر بالتقوى فيما أمركم به، ونهاكم عنه، فهو شديد العقاب لمن عصاه في عبادة الحج، أو التساهل فيها[٣٩].

٢٧. ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٩].

الأمر بالافاضة من المشعر الحرام إلى ((منى)) يوم عيد الأضحى، العاشر من ذي الحجة.

والأمر بالاستغفار؛ أي اطلبوا المغفرة منه تعالى بالندم على ما سَلَفَ من المعاصي ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ كثير المغفرة واسع الرحمة، وهذه الأوقات الشريفة هي مواضع الاستغفار، ومظانُّ القبول، ونزول الرحمة[٤٠].

٢٨. ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠١-٢٠٢].

﴿ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ۚ ﴾: لهم ثواب الحج وثواب الدعاء، بل الدعاء من أفضل العبادات، وهو مما يكسبه الحاج.

﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾: سريع المجازاة للعباد بأعمالهم فحسابه تعالى أسرع من لمح البصر[٤١].

والملاحظ انَّ {سريعُ الحسابِ} متناسبة تماماً مع الكسب وطلب الحسنة.

٢٩. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٧].

حـ٢: ص: ٦٢ والقرطبي، حـ٢، ص: ٢٣٤، ٢٣٥.

(٣٩) الطبرسي، حـ٢، ص: ٤٠، ومكارم، حـ٢ ص: ٤٤.

(٤٠) الطبرسي، حـ٢، ص: ٤٩، ومكارم، حـ٢، ص: ٥٧، والقرطبي، حـ٢، ص: ٢٨٣.

(٤١) الطبرسي، ص: ٥١، ومكارم، ص: ٦٣، ٦٤، والقرطبي، ص: ٢٨٧٠.

الآية نازلة في الامام علي عليه السلام ليلة مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله باع نفسه لله تعالى لايبغي بذلك ثمناً سوى مرضاة الله.

﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾: واسع الرحمة بعباده يعطيهم ما حاولوه من مرضاته وثوابه(٤٢).

كما أنَّ وجود أمثال هؤلاء الرجال المخلصين من رأفة الله عز وجل بعباده؛ إذ لولا وجود أمثال هذه الشخصية لساخت الأرض بأهلها، ولم يستقرَّ الاصلاح في الأرض.

٣٠. ﴿ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٩].

إذا انحرفتم عن الطريق القويم باتباعكم خطوات الشيطان بعد البراهين والأدلة الواضحة فاعلموا بأنَّ الله تعالى عزيز لا يغلب في أمره، حكيم فيما يفعله بكم من العقاب بما تقتضيه الحكمة من غير أن يمنعه مانع(٤٣).

٣١. ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٠].

الوصية بإصلاح أمر اليتامى، والله عز وجل مطلع على نياتكم فيعلم مَن يقصد السوء بالاستفادة من أموالهم، من المخلص لهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾: غالب على أمره، لا يعجزه أمر من الأمور ((حكيم)): يفعل حسب ما تقتضيه حكمته، وتتسع له الطاقة في التكليف.

هذه ((الفاصلة)) جاءت للتأكيد على أنَّه تعالى لو شاء لأعنتكم -أي لشدّد عليكم -لكونه ((عزيزاً)) أي غالباً، ولكنه لم يشأ ذلك؛ لكونه حكيماً))(٤٤).

٣٢. ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً

(٤٢) الطبرسي، ص: ٥٧، والطباطبائي، ص: ١٠٠، ومكارم، ص: ٧٤.

(٤٣) الطباطبائي، حـ٢، ص: ١٠٤، والقرطبي، حـ٣، ص: ١٨، والآلوسي، حـ٢، ص: ٦٧٣.

(٤٤) الآلوسي، حـ٢، ص: ٦٩٨، والطبرسي، حـ٢، ص: ٨٢، ومكارم، حـ٢، ص: ١١٦.

﴿ لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٤].

جاء النهي عن القَسَم بالله عزَّ وجلَّ للإمتناع عمّا أُمِر به من البِر والتقوى والإصلاح بين الناس.

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾: في هذه الفاصلة نوع تهديد؛ فهو ((سميعٌ)) لأقوالكم((عليم)) بما في ضمائركم، فلا يخفى عليه من ذلك خافية، فحافظوا على ما كلفكم به تعالى[٤٥].

٣٣.﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ ((والله غفورٌ رحيمٌ) [سورة البقرة: ٢٢٥].

اليمين اللغو ما تجري على ألسنة الناس من دون عزم كقولهم: (لا والله، بلى والله)، وهذه لا أثرلها، ولا يؤاخذ عليها الإنسان أما إذا ما صدرت عن قصد وعزم ((بما كسبت قلوبكم)) فيؤاخَذُ عليها وتجب عليه الكفارة إذا حنث فيها.

((والله غفورٌ حليمٌ)): يغفر الذنوب، ولا يعجل بالعقوبة على الذنب.

وهذه ((الفاصلة)) تشعر بالإمتنان على المؤمنين وشمول الإحسان لهم، حيث يغفر لهم ما لم تكسبه قلوبهم، ويحلم عنهم بعدم المؤاخذة؛ إذ هو باب رفق وتوسعة.

وفيها أيضاً إشارة إلى كراهية اليمين اللغو؛ إذ لا ينبغي صدور ذلك من المؤمن[٤٦]، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٣].

٣٤.﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٦ –١٢٧].

كلام موجَّهٌ إلى الأزواج الذين يقسمون على عدم إتيان زوجاتهم غضباً

(٤٥) الطبرسي، ص: ٩٢ –٩٣، والطباطبائي، ص: ٢٢٧، والآلوسي، ص: ٢٢٥.

(٤٦) فضل حسن عباس، قضايا قرآنية، ص: ٩٤، والآلوسي، حـ٢، ص: ٧١٣ والقرطبي، حـ٣، ص: ٦٨، والطباطبائي، ص: ٢٣٠، والطبرسي، ص: ٩٣، ٩٤، ومكارم الشيرازي، ص: ١٣٨، ١٣٩، والمقداد السيوري ص: ٤٧٧.

وإضراراً بهنَّ، وهي عادة جاهلية.

فإن رجع الأزواج وجدوا الله غفوراً رحيماً.

وإن عزموا الطلاقَ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يسمع قولهم، ويعلم دوافع الطلاق والفرقة، وسوف يجازيهم على تلك الدوافع(٤٧).

٣٥. ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

تتحدّث الآية عن الطلاق وعدّته، وعدم كتمان ما في أرحامهنَّ من الجنين والعادة.

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: ((عزيزٌ)): منيع السلطان لا معترض عليه. ((حكيمٌ)): عالم مصيب في ما يفعل، وفي عواقب الأمور والمفاسد(٤٨).

٣٦. ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣١].

تشير الآية إلى أن المطلّقة إذا قاربت عدَّتُها على الإنتهاء فللزوج الرجوع إلى زوجته على أن يعاشرها بالمعروف، وله التسريح بالمعروف، وتركها حتى تنقضي عدّتُها، ونهت عن مراجعتها للإضرار بها.

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾: إنه عز وجل مطّلع على نياتكم وأعمالكم(٤٩)، وهذه الفاصلة متناسبة مع ما قبلها.

٣٧. ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣].

تتحدّث الآية عن أحكام الرَّضاعة،

(٤٧) الطبرسي، حـ٢، ص: ٩٧، والطباطبائي، ص: ٢٣٠، ومكارم الشيرازي، ص: ١٤٢، ١٤٤، ومحمد جواد مغنية، الكاشف، حـ١، ص: ٣٣٩.

(٤٨) الطبرسي، ص: ١٠١، ومكارم، حـ٢، ص: ١٥٠، والقرطبي، حـ٣، ص: ٨٣، والآلوسي، حـ٢، ص: ٧٢١.

(٤٩) مكارم الشيرازي، حـ٢، ص: ١٧٠، والآلوسي، ص: ٧٣٢.

ثم تأمر بالتقوى عن الإنحراف عمّا شرَّعه تعالى بالابتعاد عن الإختلافات التي تؤدي إلى الإيذاء بين الزوجين مما يعرّض مستقبلهما ومستقبل الطفل إلى الخطر، وفي نهاية الآية قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي إنَّ الله تعالى يراقب أعمالهم بدقّة، فلا تخفى عليه خافية[٥٠].

وفي هذه الفاصلة تناسق وثيق، وفي الآية من التهديد مالا يخفى خصوصاً مع إظهار الاسم العظيم[٥١].

٣٨. ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٤].

بعد انقضاء عدّة الوفاة فعلى أولياء المرأة أن يتركوا لها حريتها في اختيار الزواج والتَّزين بعد الحداد بالمعروف بحسب ما أذن فيه الشرع.

والذي يشخِّص المصالح والمفاسد هو العلم والخبرة الإلهية، لذا كان من المناسب تعليل ذلك بالفاصلة ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾. فلا تعملوا خلاف ما أُمرتم به[٥٢].

٣٩. ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٥].

التعريض: كلّ ما يدلُّ على الرغبة في الزواج من النساء في العدّة البائنة كقوله: إني أريد زوجة مثلاً، وغير ذلك من الإشارات التي توضّح الرغبة في الزواج دون التصريح فهو غير جائز،

(٥٠) الطبرسي، ص: ١١٥، ١١٦، ومكارم، ص: ١٧٩، ١٨٠، والطباطبائي، ص: ٢٤٦.
(٥١) الآلوسي، ص: ٧٣٨.
(٥٢) الطبرسي، ص: ١١٨، والطباطبائي ص: ٢٤٧، ومغنية، ص: ٣٦٣، ومكارم، ص: ١٨٢ والآلوسي، ص: ٧٤٠، والقرطبي، حـ٣، ص: ١٢٣.

كما لا يجوز في عدتهن الرجعية، لأنهنَّ في عصمة أزواجهن.

وقد حذّر عز وجل من الوقوع فيما نهى عنه.

وختم ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾: يغفر لمن يقلع عن عزمه أو ذنبه، خشية منه تعالى، حليمٌ لا يعاجل بالعقوبة، لذا ينبغي أن لا يتوهم أنَّ الله تعالى لا يؤاخذه عند تأخيرها[٥٣].

٤٠. ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٧].

إذا عُقد على امرأة ثم طُلِّقت ولم يُدخَل بها فلها نصف المهر المذكور في العقد، إلا إذا تنازلت عن ذلك النصف عن طيب نفس.

أو تنازل الزوج عن جميع ما أعطى.

وتحثُّ الآية الزوجين على التساهل والتسامح[٥٤].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾: هذه ((الفاصلة)) تؤكّد على أنَّ أعمالكم ظاهرة، فلا يخفى على الله عز وجل عفوكم وغير العفو، فلا يضيع ما عملتم.

٤١. ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٤].

في الآية فرض الجهاد وايجابه في سبيل الله، لا للأمور الدنيوية والسلطوية.

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾: ((سميعٌ)) بأقوالكم وأحاديثكم حول الجهاد والتشجيع عليه، وأقوال المتخلّف المثبّط العزائم عن الجهاد.

((عليمٌ)) بنيّاتكم ودوافعكم النفسية في الجهاد، فيجازي سبحانه كلاً حسب عمله ونيّته[٥٥].

(٥٣) مكارم، ص: ٢٨٤، ومغنية، ص: ٣٦٣، والآلوسي، ص: ٧٤٣.

(٥٤) الطبرسي، ص: ١٢٥، ومغنية، ص: ٣٦٦، والقرطبي، ص: ١٣٧.

(٥٥) مكارم، ص: ٢١٠، وآلالوسي، ص: ٧٥٦.

٤٢. ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧].

اعتراض على اختيار طالوت ملكاً. وقد رُدَّ عليهم بأنَّه يمتاز بالعلم والقدرة والله تعالى أعلم بأنه هو الأصلح لهم.

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾: بسعة فضل الله عزَّ وجلَّ اختار طالوت الذي زاده بسطة في العلم والجسم، وبعلمه الثابت تَمَّ تشخيص الأصلح للناس.

٤٣. ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

دعوة الخليل عليه السلام من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، أحبَّ أن يعلم ذلك عياناً بعدما علمه علم استدلال وبرهان.

فأمره بأخذ أربعة من الطير وتقطيعهنَّ وجعل كلّ جزء منها على جبل ثم دعوتهنَّ فسوف يأتينَ مسرعات.

﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: فهو سبحانه غالب قوي لا يعجزه شيء ((حكيمٌ)) في أقواله وأفعاله، فلا يفعل شيئاً إلا على وفق الحكمة(٥٦).

فهو سبحانه قادر على فعل كلَّ ما فيه مصلحة.

٤٤. ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف، ويضاعفه لمن يشاء حتى يزيد على السبعمائة، فلا حدود لجوده وفضله سبحانه فهو واسع، ((عليمٌ)): بالنفقة،

(٥٦) الطبرسي، ص: ١٧٩، والطباطبائي، ص: ٣٨١، والآلوسي، حـ٣، ص: ٤٣.

وبنية المنفق وبما يقصده من الإنفاق[٥٧].

٤٥. ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٣].

{قول معروف}: كلام حسن جميل.

{ومغفرة}: ستر وصفح إذا صدر من السائل إساءة.

فالكلام الحسن والصفح الجميل خير من صدقة يتبعها أذىً، ولابدَّ من التخلّق بأخلاق الله تعالى.

{والله غنيٌّ} عن صدقاتكم، والأمر بها لحاجتكم إلى ثوابها، ولآثارها الاجتماعية المهمة.

((حليمٌ)): لا يعجل بالعقوبة على مَن يؤذي بصدقته ويمنّ بها[٥٨].

٤٦. ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٥].

مثل جميل لمن ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله؛ انطلاقاً من قوة يقينهم وبصيرتهم في الدين يشبه جنّة ذات ثمر مفيد مضاعف.

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾: عالم بأفعالهم يجازي كلاً من المخلص والمرائي بحسب نياتهم[٥٩].

٤٧. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٧].

بيان لصفة ما ينفق وهي الأموال النظيفة الجيِّدة الطاهرة الحلال؛ إذ أنتم لا تأخذون لأنفسكم إلا الطيب إلا إذا أكرهتم على ذلك.

ففي الآية نهي عن إنفاق مالا يقبله الإنسان لنفسه.

(٥٧) الطبرسي، ص: ١٨٠، والطباطبائي، ص: ٣٩١، والآلوسي، ص: ٤٥.

(٥٨) الطبرسي، ص: ١٨٧، ومكارم، ص: ٣٠٠، والطباطبائي، ٣٩٣، والآلوسي، ص: ٤٧.

(٥٩) الطبرسي، ص: ١٨٧، ومكارم، ص: ٣٠٣، والطباطبائي، ص: ٣٩٧.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾: ليس بحاجة لإنفاقكم، فهو تعالى غنيٌ عن كلِّ شيء، وهو المستحقّ للحمد والثناء على نعمه.

ولعلَّ المراد بـ((حميد)) بمعنى اسم الفاعل أي أنه عز وجل على الرغم من غناه عن إنفاقكم فهو يحمدكم عليه ويقبله منكم.

و((حميد)) هنا هو المناسب؛ إذ إنه لما أمر عز وجل بالإنفاق من طيِّبات المكاسب بيّن غناه عن ذلك ويحمد فاعله إذا فعله على وِفق ما أمره به ويجازيه عليه، إذ لو جاء ((حليم)) محلَّ ((حميد)) لما كان مناسباً، و ((حليمٌ)) في الآية السابقة [سورة البقرة: ٢٦٣] هو المناسب؛ لأنه سبحانه وتعالى بيّن أنه لا يعجِّل العقوبة على مَن يمنُّ ويؤذي بصدقته.

ولو جاء ((حميد)) محلّ ((حليم)) لما كان مناسباً[٦٠].

٤٨. ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٨].

حذّر الله عز وجل من الشيطان الذي يعد بالفقر ويأمر بالمعاصي، فهو يثبِّط العزائم عن الأنفاق، ويأمر بالمعاصي وترك الطاعات بوساوسه المضلَّلة، والله تعالى يعد بالسَّعة والخير والمغفرة من الذنوب.

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾: ذو قدرة واسعة وعلم غير محدود، يعطي ما وعد من المغفرة والزيادة، لا يجهل شيئاً، فوعده وعد علم سبحانه وتعالى[٦١].

٤٩. ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

بعد ذكر صفة الإنفاق رغَّب سبحانه فيه بذكر كيفيته، فإظهار

(٦٠) الطباطبائي، ص: ٣٩٧، ومكارم، ص: ٣١١، والطبرسي، ص: ١٩٢، وص: ١٨٣.

(٦١) الطبرسي، ص: ١٩٣، والطباطبائي، ص: ٣٩٩، ومكارم، ص: ٣١٤.

الصدقة وإعلانها نعم العمل، وإسرارها خير وأبلغ ثواباً ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾: خبير بأعمال عباده، مصيب في تمييز الخير من غيره، عالم بما تعملونه في صدقاتكم من الإعلان والإسرار، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسوف يجازيكم على جميع ذلك(٦٢).

٥٠. ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٣].

الفقراء الذين شغلتهم الأعمال الهامّة كالجهاد، وغيره عن العمل، وقد يحسبهم الذين لا يعرفون بواطنهم لما فيهم من عفّة النفس يحسبهم أغنياء، بل هم في غاية العزّة والكرامة، فإنّ أمثال هؤلاء خير مواضع للإنفاق.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾: الإنفاق على مثل هؤلاء وإن كان سِرّاً فإنَّ الله تعالى عالم بما ينفقون، وسوف يثيبهم على ذلك(٦٣).

٥١. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۖ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

هذه أطول آية في كتاب الله، حيث تحتوي على ١٩بنداً تدور حول الدَّين والرهن.

((ويعلِّمُكُم الله)) ما تحتاجون إليه في حياتكم المادية والمعنوية.

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾: يعلم كلَّ مصالح الناس ومفاسدهم ويقرِّر ما هو الصالح لهم(٦٤).

٥٢. ﴿ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا

(٦٢) الطبري، ص: ١٩٨، والطباطبائي، ص: ٤٠٢، ومكارم، ص: ٣١٩، والآلوسي، ص: ٦١.

(٦٣) مكارم، ص: ٣٣١، والآلوسي، ص: ٦٥.

(٦٤) الطبرسي، ص: ٢٢٣، والطباطبائي، ص: ٤٤٠، ومكارم، ص: ٣٥٦.

﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣].

تتحدّث الآية عن بعض أحكام الدَّيْن، والرَّهْن، واستشهاد الشهود، والنهي عن كتمان الشهادة بعد تحمّلها إذا دُعُوا إليها؛ لأنَّ كتمان الشهادة من الذنوب الكبيرة.

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾: عليم بما تُسِرُّونه وما تكتمونه ككتمان الشهادة وأدائها، فيجازيكم على ذلك[٦٥].

٥٣. ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤].

يعلم عزَّ وجلَّ جميع ما في الأنفس؛ ما يخفونه وما يظهرونه، فيغفر لمن يشاء تفضلاً منه ورحمة، ويعذِّب مَن يشاء ممن يستحقُّ العقاب عدلاً منه سبحانه.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾: قادر على المجازاة من المغفرة أو العذاب؛ لقدرته تشخيص المحسنين والمسيئين.

وهذه الفاصلة تقرِّر ما قبلها؛ فإنَّ كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب[٦٦].

الختام

وفي خاتمة المطاف نؤكد النتيجة التي أَوصَلَنَا إليها البحثُ في موضوع ((الفاصلة)) القرآنية، وهي: إنَّ ((الفاصلة)) القرآنية ليست حشوة لإكمال الكلام بها كيفما كان، وليست قافية شعر، ولا سجعة لمراعاة أواخر الكلمات، وإنما هي مرتبطة بما قبلها من الكلام ارتباطاً دقيقاً من حيث اللفظ والمعنى، ولا تكاد تنفكُّ عنه، بل لو استُبدل بها غيرها، أو بما يشبهها لاختلَّ

(٦٥) الطبرسي، ص: ٢٢٥، الطباطبائي، ص: ٤٤٠، ومكارم، ص: ٣٦٠، والآلوسي، ص: ٦٨.

(٦٦) الطبرسي، ص: ٢٢٦، ومكارم، ص: ٣٦٢، والآلوسي، ص: ٩٠. وجميع ما ذكرته عن المصادر بتصرف تام.

المعنى؛ وذلك لأنَّ كلمات الله عزَّ وجلَّ موزونة بميزانه المعصوم، الذي لا يقبل التغير والتبديل أبداً ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤١ -٤٢]، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

علماً بأنَّ أيَّ تبديل أو تغيير يخلُّ ببلاغتهِ، وبالتالي بإعجازه الذي تحدّى به الإنس والجنَّ على الإتيان ولو بسورة من سوره المباركة مع استمرار هذا التحدي إلى يوم القيامة.